لقاء قناة العالم بالدكتور إبراهيم الجعفري
بتاريخ 2010/2/23
(شعبنا يستحق الأفضل)

المقدم: بماذا تمتاز الانتخابات القادمة عن سابقاتها، وماذا تعني؟

الجعفري: هذه المحطة الانتخابية فيها مجموعة من الخصوصيات ربما تختلف عن سابقاتها، منها: أنها محطة ارتقاء تمثّل محطة متأخرة مقارنة بالمحطات السابقة من حيث الزمن، ومن حيث نضج التجربة، وفي الوقت نفسه هناك نقاط تحدٍّ جديدة ظهرت على المسرح بعضها أخذ مظهراً إرهابياً، إذ يحاول أعداء العراق قطع الطريق على المواطن، وتظافرت جهودهم الخبيثة من أجل الحط من معنويات المواطنين والحيلولة دون تحقيق هذا الموسم، وبدت محاولات بشكل أو آخر لمسألة التحدّي السياسيّ وهو قضية حزب البعث كحزب وهذا أيضاً شكّل تحدّياً، وهو تحدٍّ بالنسبة للعراقيين أيضاً يجرح وجدانهم بالعمق والصميم بناءً على طول التجربة المريرة والمأساة التي امتدت إلى خمس وثلاثين سنة، والتحدّي الآخر هو أقلمة العملية الانتخابية وتدويلها، والشيء الغريب أننا نشاهد من هذه الدولة وتلك بشكل صريح وفاضح تدخّلاً في الانتخابات ومحاولة للتأثير في سير العملية الانتخابية، وهذا الشيء غير مسموح به، لكننا نعوّل على وعي القوى السياسية التي طوّرت برامجها وخطابها، ودفعت إلى المسرح شخصيات جديدة.

المقدم: هناك تجاذبات في المشهد السياسي.. إلى أي حد ستؤثر في العملية الانتخابية، وفي استقرار الساحة العراقية، وربما يحاول البعض أن يعرقل العملية الانتخابية، أو تقدّم العملية السياسية في العراق؟

الجعفري: قد تحاول بعض الجهات العراقية أو الأجنبية أن تعرقل العملية، أنا أعتقد أن العراقيين على وعي كافٍ بحيث لا يتفاعلون مع هذه الحالة، وطالما تتحرك الإرادات الوطنية العراقية في إطار المصلحة الوطنية العامة فأنا أعتبره تنافساً شريفاً، ولا أجرؤ أن أقول: انتخبوا فلاناً أو فلاناً، حتى إني عندما أزور منطقة ما أوصي أهلها بأن ينتخبوا الوطني، الأمين الكفوء النزيه الذي أن يعالج الفقراء مهما كانت قائمته، ومن أي خلفية كانت..
يشرّفني أن يفرز المشهد الانتخابي جموعاً من الشخصيات الوطنية العراقية المخلصة التي تحقق أهداف الشعب العراقي، ومنها: معالجة الفقر ورفع مستوى الخدمات، وتحقيق الأمن، وقطع الطريق أمام الإرهاب والطائفية وغيرهما.

المقدم: هناك اهتمام دولي وإقليمي بالعملية الانتخابية، وهناك تخوُّف من هذه التدخلات، وهناك حديث عن أموال ضخمة جداً ضُخّت في الساحة العراقية من أجل التأثير في العملية الانتخابية.. كيف تنظرون إلى ذلك؟

الجعفري: هذا منظر واضح وفاضح.. فأن يتدخل أي بلد إقليمي أو دولي حتى يصل إلى مديات شنيعة بالمال والاتصالات المباشرة والضغط على الناس للانحياز إلى هذا الاتجاه وذلك، فهذا غير مسموح به..
كل بلدان العالم قد تبدي اهتماماً بما يجري في بلد ما باعتبار أن العالم أصبح قرية كونية إن لم نقُل غرفة كونية وهذا شيء مشروع، وينعكس على العلاقات، لكن إذا تحوّل الاهتمام إلى تدخل وشراء ذمم وتزييف الصواب بإعلام ومال وتهديد أو ما شاكل ذلك فهذا غير مسموح به؛ لأننا نعدّه اعتداء على الشعب والوطن.

المقدم: هل هناك حالات لهذا النوع من الأموال والتدخلات والتهديد وربما التأثير في الناخب العراقي؟

الجعفري: الآن تتسرب عن بعض الأطراف أنها تأتي بأموال لا تتناسب مع قدرتها وقابليتها، هنا أريد أن أقول شيئاً: إن باب التبرّع يجب أن يبقى مفتوحاً خصوصاً عندما لا يوجد قانون للأحزاب يضمن لكل حزب ميزانية معتدلة متكافئة مع بقية الأطراف، بشرط أن يكون التبرع من مصدر واضح ونظيف ونزيه، وأن لا يتدخل في شؤون ذلك الكيان؛ حتى لا يضغط على قراراته السياسية، ويتحوّل من صدى لصوت الشعب إلى صدى لصوت أجنبي أو إقليمي أو دولي.

المقدم: هناك من يحاول أن يُثير أن الدكتور إبراهيم الجعفري هو إيراني المولد وإيراني السياسة، ما الذي تقوله؟

الجعفري: لو كنتُ إيراني المولد أو إيراني النسب فأنا أتشرف بذلك، ولو كنتُ تركي المولد فأنا أتشرف بذلك أيضاً، (ولعنة الله على الداخل في النسب والخارج منه)، وليست قوتي وشرفي من أرض معينة، إنما من صدقي، فعندما أنتسب إلى أي بلد بكل شرف أقول أنا أنتسب لذلك البلد، وإن أحببت أن تعرف عائلتي فاقرأ كتاب (تاريخ كربلاء والبيوتات العلوية في كربلاء) أنا في الأصل من نجد من المملكة العربية السعودية، من مدينة أشيقر القريبة من الرياض، رحلنا قبل خمسمائة وعشرين أو خمسمائة وثلاثين سنة من هناك إلى قرية قريش في الكاظمية، ومنها رحلنا إلى كربلاء.
أما عن إقامتي في إيران فقد رحلت إليها اضطراراً في 1980/3/7 بعد ملاحقات، والعالم كان أغلق أبوابه فما كان إلا إيران؛ وطبيعي جداً أن يتجه إليها عدد كبير من العراقيين.

المقدم: إذن لماذا يحاول البعض أن يثير هذه القضية في هذا الوقت بالذات، كيف تردّون على ذلك.. وفيما يتعلق بالسياسة، هناك من يقول: إن سياسة الدكتور إبراهيم الجعفري تنسجم كلياً مع السياسة الإيرانية؟

الجعفري: هذا كلام أناس غير مثقفين، ولا يملكون وعياً.. ودليلنا أن منظومتنا الفكرية والمعرفية تفرض علينا أن نتحرك كوطنيين عراقيين، ونصمّم النظرية السياسية العراقية الجديدة التي تأخذ بنظر الاعتبار طبيعة مجتمعنا، وخصوصيته، والمكونات والتنوعات المختلفة لهذا المجتمع، وقد صمّمنا دستوراً، ونحن لا نتصرّف بمزاج شخص ولا مزاج حزب، ولا غضاضة إذا استفدنا من تجارب الدول، فلو رحلنا إلى جنوب أفريقيا، ورأينا المصالحة والمصارحة فهل يعني أننا أصبحنا جنوب أفريقيين؛ فمثل هذا الكلام عارٍ عن الصحة، وليس له أي حيّز في مجال التطبيق.

المقدم: ما الذي يريد العراق من دول الجوار، وبماذا يتأثر عندما يكون هناك حديث عن التدخلات الخارجية؟

الجعفري: باعتبارنا جزءاً من البيت الإقليمي علينا أن نتعاطى معهم وفق مبدأ المصالح المشتركة، وعدم المسّ بالسيادة، وعدم التدخّل في شؤوننا الداخلية، في الوقت نفسه نحن نمرّ بظرف استثنائي نريد أن نتجاوزه، وقد حملت هذه الهموم منذ الشهر الأول الذي تصدّيت فيه لرئاسة مجلس الحكم عام 2003 في شهر تموز، فقد زرتُ عدة دول، وأوصلت لهم رسالة مفادها: لا قلق من العراق الجديد، ونحن بصدد إقامة نظام، ونسعى للبناء وصناعة بلد ديمقراطي، وأننا يمكن أن نختزل زمن وجود القوى الأجنبية في العراق من خلال تواجدكم وتفاعلكم معنا، وذهبت إلى الجامعة العربية وعلى مرأى ومسمع العالم كله صدحتُ بهذا الصوت الوطني العراقي، وقلت لهم: نريد أن تحفظوا حدودنا، وسيادتنا وتعطونا حقوقنا.
لدينا مصالح متبادلة كثيرة مع دول الجوار، وعلينا أن نتعامل بطريقة نحصل فيها على مصالحنا، وندرأ الأخطار من دون المساس بسيادتنا والتدخل في شؤوننا.. فتركيا سوق جيد ونافع بالنسبة لنا نستطيع من خلالها أن نرتقي بالتجارة الخارجية، ولديهم قلق من حزب العمل الكردستاني، والجمهورية الإسلامية الإيرانية هي الأخرى توجد مصالح بيننا وبينها، فالغالبية العظمى من الشعب الإيراني هم من الشيعة، وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في العراق، وهذا يصبّ في صالحنا، فهم يريدون زيارة المراقد المقدسة، وهذا سيدرّ علينا الكثير، وستعمل قطاعات كثيرة في هذا الاتجاه منها النقل والفنادق والمطاعم، ولديهم قلق من وجود منظمة مجاهدي خلق.. هنا تبرز معادلة المصالح المشتركة، بأن أحقق لك مصلحتك مقابل أن تحقق لي مصلحتي.

المقدم: هناك قرار من الحكومة العراقية، وإجماع من كل العراقيين على ضرورة إخراج منظمة خلق، وفي المقابل هناك إصرار أميركي على بقائها في العراق، كيف يمكن معالجة هذا الموضوع، وإلى أي حدّ يمكن للحكومة العراقية وللعراقيين أن يطردوا هؤلاء؟

الجعفري: مادام هناك إجماع من قبل القوى الوطنية العراقية، ولا خلاف بين مجمل القوى السياسية الوطنية على أن منظمة إرهابية ومرفوضة؛ لأنها تسببت بمشاكل مع دولة جوار، إذن يجب أن تُلقي السلاح، وتخرج من العراق.. نحن نريد أن نبني علاقات طيبة مع دول الجوار، ولا نسمح بكل ما يعرقل توجهاتنا، أو يُعيق مصالح البلاد، وكذا حزب العمل الكردستاني.
لا نسمح بأي شيء يمسّ متبنياتنا سواء المصالح المشتركة بيننا وبين الدول الإقليمية، أو درء الأخطار المشتركة.

المقدم: عن العلاقة مع الأميركيين.. لماذا ضغط الأميركيون في المرحلة السابقة؛ لكي لا يصل الدكتور إبراهيم الجعفري إلى رئاسة الوزراء، ما هي أسس الخلاف مع الأميركيين، ولماذا لا يريدون إبراهيم الجعفري؟

الجعفري: يشرّفني أن بعض القضايا المرفوضة تشير إلى عمق وطنيتي وتضحيتي واستبسالي من أجل حقوق شعبي، هذا وسام بالنسبة لي، ولست نادماً على ذلك.. بالنسبة لي لديّ دستور أعمل من أجل تطبيقه، وأعتبر العراق أمانة في ذمتي، وسيادة البلد بالنسبة لي قضية مهمة يجب أن أرعاها، وأنا ماضٍ في هذا الأمر، وقد نذرت حياتي من أجل بناء الدولة العراقية.

المقدم: هل تعتقد أن سبب الخلاف هو إن الإدارة الأميركية أرادت أن تتدخل في العملية الديمقراطية العراقية؟

الجعفري: طبعاً، أرادوا أن تكون الديمقراطية في العراق عبارة عن استيراد القرارات السياسية من خارج الحدود، والتسامح بالسيادة، وتحول المتصدي الذي اختاره شعبه، وأمدّه بالفكر والقيم، وأتمنه على أعراض الناس وأموالهم إلى نمر من كارتون أو شطرنج!!
هذا شعب العراق شعب الأبطال.. شعب الحضارة.. شعب التأريخ.. شعب الشهداء.. شعب أهل البيت، وشعب المذاهب المتعددة من السُنة والشيعة، والديانات المختلفة، كل شيء بالعالم تجده في العراق فمن يمثّل العراق يجب أن يرتقي إلى حجم العراقيين فعلى أي أساس يتدخلون في هذه الأمور.. نعم نحن نمدّ جسور العلاقة من موقع الثقة بكل دول العالم، بما فيها أميركا، ونحترم الأمة الأميركية، ونحترم نضالها، ونحترم تأريخها واستقلالها وثروتها وثورتها ضد الاحتلال البريطاني،

ونحترمها من موقع الثقة، لكن ذلك لا يعني أن ننحني أمام احتلال، وتدخّل في شؤون العراق، التدخّل شيء واحترام وتبادل المصالح المتبادلة شيء آخر.

المقدم: لكن العراق محتل، وهذا يعني أنهم ربما يتدخلون في العملية الانتخابية؟

الجعفري: لذلك نحن رفضنا الحرب من موقع الإصرار على التغيير، وأصررنا على التغيير، لكننا رفضنا الحرب بضرس قاطع، وعندما سألني الأميركيون في أول لقاء في حياتي مع مجموعة منهم بنهاية عام 2002 قلت لهم بكل صراحة: إننا نرفض النظام، لكننا لا نقبل الحرب، وقالوا: لماذا؟ قلنا لهم الحرب قذرة، ولا توجد حرب نظيفة، وسيعقب الحرب احتلال، وهو أقذر؛ لأنه يرهن البلد، وهذا نرفضه، قالوا: إذن مؤتمر لندن، قلنا لهم: إن هذا واجهة للحرب؛ لذلك لم نشترك به، وحصل مؤتمر صلاح الدين، ورفضنا أن نشترك به، وأرسلوا دعوة، ولم نـُجبهم، وحدث مؤتمر الناصرية، ولم نوافق، وحصل مؤتمر بغداد، ولم أوافق، فنحن لم نقبل ليس من موقع الرفض للتغيير؛ فنحن رواد التغيير في العراق، وقدّمنا خيرة أبنائنا وبناتنا من أجل تحقيق التغيير.

المقدم: هل لديكم تخوّف من أن يكون هناك نوع من الضغط على العملية الانتخابية، أو من عملية تزوير في هذه الانتخابات، أو تدخّل أميركي، أو جهات أخرى؟

الجعفري: كل هذه المخاوف موجودة، لكني أقول لك: إن إرادة الشعب العراقي ستبقى صلبة، ولم لن يسكت أبداً، ولن يستسلم، لكنه قد يُمهل إمهال الشجاع في المعركة، لكن لا يخنع، ولا يستسلم.
نصيحتي لكل هؤلاء أن لا يساوموا على النتائج، وليتركوا الشعب يختار من يشاء.

المقدم: هل تتخوّفون من انقلابات عسكرية أم إن هذا الزمان قد ولّى؟

الجعفري: لا يستطيع أحد أن يكسر إرادة الشعب العراقي، أو يدحره.. الشعب العراقي وطني وشجاع وهو أقوى من كل محاولة حتى وإن كانت ذات طابع عسكري، فلا يستطيع أحد من خلال انقلاب عسكري أن يدحر انتصاراته، ويلغي تأريخه، ويُنسيه شهداءه، ويجعله يُذعن.. الشعب العراقي في ثورة العشرين لم يكن يملك أي شيء يواجه به الدبابات، وحقق أسطورة تسمى أم الثورات وكبرى الثورات في التاريخ العراقي، فكيف وقد ذاق أبناؤه وبناته حلاوة الديمقراطية، ورأوا ما رأوا من أبناء قواتنا المسلحة الذين يقفون ساهرين من أجل سلامة المواطنين، وإن كانت هناك محاولات انقلاب فأعتقد أن المواطن العراقي سيتحول إلى درع حصين لصيانة العملية الديمقراطية.

المقدم: هل تعتقد أن المرحلة المقبلة عملياً قد تفرز خارطة سياسية جديدة انطلاقاً من التحالفات التي نلاحظها الآن في الكيانات السياسية؟

الجعفري: جميل إن حصل ذلك؛ لأنه يعكس تبدُّل القناعات الاجتماعية التي تتحرك في حيّز التنافس، وليس في ذلك غضاضة.

المقدم: هل الدكتور إبراهيم الجعفري مرشح لرئاسة الوزراء في المرحلة القادمة، وهل جرى حديث مع الكتلة التي أنت تنتمي إليها؟

الجعفري: الحديث حول تعيين وتشخيص أي رئيس وزراء لم يحدث على الإطلاق، لا من كتلة تيار الإصلاح ولا من الكتل الأخرى التي تشكّل الائتلاف الوطني، وعدم طرحه ليس من غياب رؤية إنما تعبير عن موقف.. إن هذه القضية سيتم مناقشتها في المرحلة اللاحقة بعد أن نتجاوز عملية الانتخابات.. أعتقد أن هذه نقطة قوة لا ينبغي أن نختزل مشروعنا الوطني وائتلافنا الوطني بأنه حدّد فلاناً.

المقدم: على أي أساس قام تشكيل الائتلاف العراقي.. هل هو موضوعة السياسة العامة فقط أم هناك نوع من تحديد الحصص إذا كان هناك فوز بنسبة ما؟

الجعفري: حتى الآن لم نتحدث بمنطق الحصص في داخل الائتلاف الوطني العراقي ليس لوجود فراغ في الرؤية إنما هناك رؤية محسوبة تقتضي ترك الباب مفتوحاً لتحديد الأنسب والأكفأ.

المقدم: إلى أي حدّ يؤثر الخلاف الشيعي - الشيعي في موضوعة الكتلة البرلمانية الأكبر؟

الجعفري: الاختلاف الشيعي - الشيعي ضعيف ولا يؤثر، كما هو الاختلاف في الصف الكردي - الكردي، والسُني - السُني..
أتطلع إلى غياب هذه المصطلحات (السُني والشيعي والكردي)، أنا أتطلع إلى تكون الوطنية العراقية هي المسحة العامة التي تعبّر عن كل العراقيين، وليس هناك مانع من أن يكون في داخل الوطنية العراقية سنة وشيعة وكرد، أما أن يكون السني هو الأصل والشيعي هو الأصل والكردي هو الأصل، والوطنية العراقية هي الفرع فهذه مشكلة تجعلنا نبدأ بالمختلف قبل المشترك الوطني.. ما نريده هو المشترك الوطني وهو العراقية.. نريد برلماناً قوياً متراصّ الصفوف والمكونات.

المقدم: من وجهة نظرك دولة الرئيس، ما هي تحديات المرحلة القادمة؟

الجعفري: أعتقد أن التحديات هي الأمن، والسيادة، ومستوى الخدمات؛ فقد كنت حين أزور أي حي من الأحياء، وأشاهد الفقر الذي ارتسم بصورة سوداوية مُحزنة على القرى والأرياف والمدن من مختلف الحجوم أستحي منهم كثيراً.. هذا ليس قدر المواطن العراقي، إنما قدر المواطن العراقي هو الغنى - غني في ثرواته، وغني بنفسه ووطنيته ودمائه التي جاد بها، وهو على الرغم من الفقر بقي عالي الهمّة والهامة، ومُصِراً على صناعة الجديد..
أملي بالله (تبارك وتعالى)، وثقتي بهذا الشعب وممثليه أن يعبروا إلى الغد من خلال الانتخابات القادمة إلى حالة تتجاوز هذه التحديات، وتتحقق فيها الأهداف.. يجب أن تشهد المرحلة القادمة انتهاء الإرهاب بمركباته المختلفة، وفشل مشروع الطائفية بالتمام، وتتحقق السيادة كاملاً.